ويتبيَّنُ من هذا البحث القيِّم ، ومن النُّصوص التي أوردها الأستاذ دي لاجرانخا من الكتاب ، أن العَزَفيّ لاحظ أن أهل الأندلس والمغرب عامَّةً كانوا يشارِكُون مُساكِنيهِمْ وجيرانَهُمْ من المسيحيِّين أعيادَهم ، ويحتَفون بها احتفاءً عظيماً ؛ فيتوسَّعُونَ في النَّفقات واستجادَة المطاعم وألوان الحلوى ، ويخصّ العزفي من هذه الأعياد ما يسمِّيه « ليلة العجوز » ، وهي آخر ليالي السَّنة الميلاديَّة الموافقة للحادي والثَّلاثين من شهر دجنبر (ديسمبر) . واسم « ليلة العجوز » هو التَّرجمة العربيَّة لِما يسمِّيه الإسبان حتى اليوم La Nochevieja (أي ليلة رأس السَّنة) .

وظاهرةُ مشاركة المسلمين لجيرانهم من المسيحيِّين في أعيادهم كانت من الظَّواهر الشّائعة في العالم الإسلامي كلِّه ؛ مَشْرِقه ومَغْرِبه على السَّواء ، كما يسجِّل ذلك المَقْرِيزي في كتاب « الخِطَط » . على أن ذلك لم يُعجب الفُقهاء المتزمِّتين ، من أمثال العَزَفِي الذي حَمَل على مواطنيه من أجل ذلك ، بل إنه نَدَب نفسه لتغيير هذه البِدْعة ؛ فألَّف كتاب « الدُّرّ المنظَّم » ساعياً بذلك إلى هَدَفَيْن : الأول هو قطع عادة مسلمي الأندلس بالاحتفال بالأعياد المسيحيَّة ولاسيَّما عيد الميلاد ، والثاني هو الاستبدال بهذا العيد عيدَ مولد النَّبي ﷺ .[1]

وقد استطاعت هذه الحملة التي اضطلع بها الأميرُ الفقيهُ العَزَفيّ أن تؤتي ثمارَها ؛ فتَحَقَّقَ له هدفه من إقلاع مسلمي الأندلس والمغرب عن الاحتفال بعيد الميلاد المسيحيّ ، وإن لم تقض تماماً على بعض الأعياد الأخرى التي لم يكن لها طابَع دينيٌّ واضح . أمَّا الهدف الثاني وهو الاحتفال بعيد مولد النَّبيّ ﷺ فقد تحقَّق أيضاً . واستقرَّت هذه العادة التي اتُّخذت ، منذ ذلك الوقت ، مظهراً من الفخامة يُضارع ما اتَّسمت به أكبر الأعياد الإسلاميَّة

---

(١) مقال الأستاذ جرانخا ، ص ١٧-١٨ .